المخيلة الشعبية في استلهام مأساة الامام الحسين (ع)

باسم عبد الحميد حمودي

انبنى معظم تفاصيل المخيلة الشعبية لمأساة شهداء الطف وفي مقدمتهم الامام الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) على رواية تفاصيل ملحمة المجابهة لإرادة الطغيان ممثلة بجيش يزيد في ظاهر الكوفة من قبل ارادة الحق والحرية ممثلة بمجموعة الحسين التي قدمت من ارض الحجاز لتعلن قيام دولة الحرية في ارض العراق.

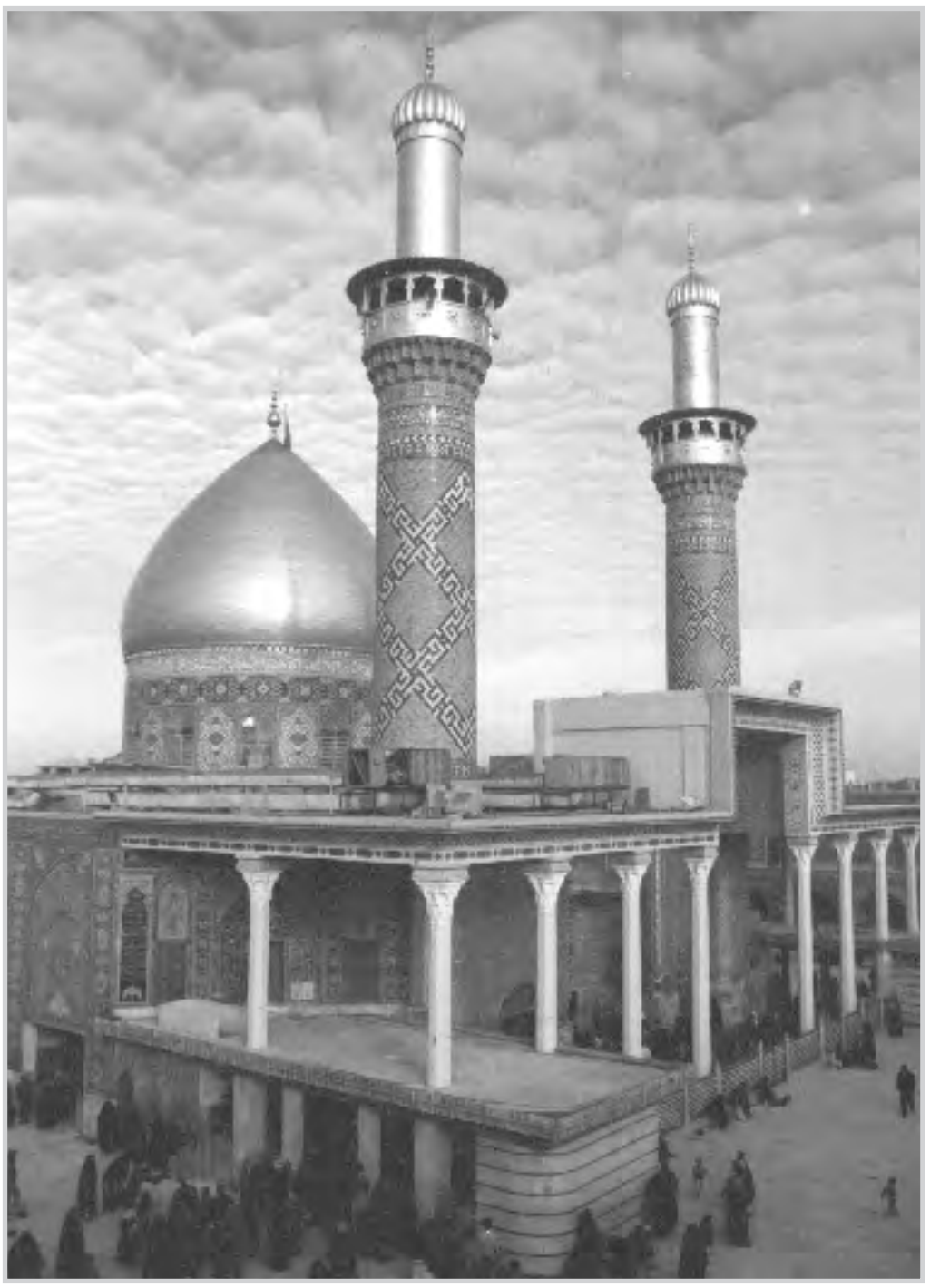

وتتخذ هذه الملحمة محطات أربع.. لكل محطة صورة شعبية تناغم الصورة التاريخية، تأخذ منها وتعطيها، تقتطع منها ما يفيد في اذكاء الإحساس بالفجيعة وتؤطرها بصورة البطولة والفداء التي ابداها رجال الحسين وهم يقاومون الظلم ويفتدون الحق بأنفسهم ويقاتلون غير هيابين وهم يدركون بشكل واضح ان الموت ولا شيء سواه هو قدرهم وان هذا الموت المأساوي هو سبيلهم إلى الجنة الموعودة حيث يصلون إلى مجلس محمد (ص) وآل محمد.

وتبدأ المحطة الأولى ببدء التحضير للرحلة من ارض الحجاز حيث ينصح محمد بن الحنفية أخيه الحسين بعدم السفر إلى العراق سعياً وراء مجابهة الحكم الاموي هناك باعتبار صورة الغدر القادمة التي يراها ابن الحنفية ظاهرة ويتحسسها ولا يرى الامام الحسين في تخوفات اخيه ما يبرر السكوت عن الباطل بل يستجيب لنداء مسلم بن عقيل الذي أرسله ممثلاً له في العراق ورأى مسلم من العراقيين من التأييد ما دفعه إلى ان يطلب من أمامه وقائده ان يسرع بالتحرك فالكل يريد الحرية والكل يريد للحسين الامامة وللأرض الحرية.

وتنقسم هذه المحطة إلى أربعة أقسام اولها ما سبق الحوار بين الامام الحسين ومحمد بن الحنفية وهو وصول رسائل العراقيين إلى الحسين (ع) ان الأرض مهيئة للثورة على والي يزيد في العراق وانتدابه مسلماً بن عقيل للسفر والوصول إلى الكوفة وملاقاة العراقيين واختبار ولائهم وقدرتهم على الصمود لتخرج منها صورة درامية أخرى توضح مدى ولاء الكوفيين لآل علي بن أبي طالب (ع) وصلاتهم في مسجد الكوفة خلف مسلم بن عقيل ومبايعتهم له على الجهاد ثم حركة والي الكوفة الاموي عبيد الله بن زياد وإدراكه نوازع الضعف الإنساني.

حيث اخذ الناس بالتهديد بالقتل واقترافه بقسوة وبذل المال لمن يريده شرط التخلي عن مسلم بن عقيل في وقت يجتاح فيه جيش يزيد شوارع الكوفة ويقتل من يقتل ويسجن من يسجن في معركة تمهيدية للمعركة الأكبر تلك التي جرت في الطف بعد ذلك، ويستمر الصراع غير المتكافئ بين جيش عبيد الله وأرادة الحق التي يمثلها مسلم، وتكون للمأساة صورتها التمهيدية بانحسار التأييد لمسلم وتتويج ذلك الانحسار بدخوله مسجد الكوفة اماماً لا يجد خلفه إلا القليل من الناس وانسحابه من العلانية إلى السرية حيث يتلمس العودة إلى ارض الحجاز بعد ان يرسل رسالة إلى الامام الحسين (ع) تطلب منه العودة من حيث أتى فقد تغير الناس وانزوى الكثير منهم خوفاً من بطش عبيد الله وهو الآن لا يأمن على حياته من قوى الردة، وتزداد المأساة عمقاً بوقوع الرسالة بيد اعوان عبيد الله وعدم وصولها إلى جيش الامام الحسين (ع) الساعي بين الصحارى مسرعاً للوصول إلى العراق ثم تتجلى صورة درامية أخرى بوقوع مسلم بن عقيل بيد اعوان الوالي الاموي وقتله بعد محاكمة صورية تجلى فيها ثبات (مسلم) على موقفه واستخفاف الوالي الاموي بأهل بيت النبوة وإعلانه عن انه يسعى إلى الملك ولا شيء سواه وان العدل والحق مع القوة والمال لا مع المبادئ السامية واصول الرسالة المحمدية الداعية إلى العدل والحق واستخلاف من هو أخير المسلمين واصدقهم دينا واخلاقاً وتلك صفات يتمتع بها الامام الحسين (ع) ولا يتمتع بأي منها (الخليفة) الجالس على عرش الشام زوراً، ذلك منطق مسلم بن عقيل امام عبيد الله قبل ان يقتل وهو منطق الحق الذي يعلن عنه الراوي الشعبي وهو يغطي تفاصيل الصورة الدرامية لهذه المأساة.

ويبدأ القسم الثاني من هذه المأساة البطولية بوصول جيش الحسين الصغير إلى الطف وهي جزء من أرض كربلاء الكبرى الحالية وهو (جيش) لا يعد جيشاً بالمفهوم العسكري فهم سبعون رجلاً مع النساء والاطفال منهم المقاتل القوي الشكيمة والمراس على شاكلة العباس بن علي(ع) أحد أجمل شباب الحجاز وأكثرهم شجاعة وحباً للإمام الحسين ومنهم الطفل الصغير الذي يحمل السلاح مؤمناً من دون ان يستطيع استخدامه بيسر وهو علي الأكبر بن الحسين وبينهم العقيلة زينب بنت الامام علي بن أبي طالب، شقيقة الحسين وراعية بيت النبوة التي لا تألو جهداً في مباركة الجهاد وحماية النساء والاطفال من براثن جيش يزيد الذي يجابه الآن مجموعة الحسين الصغيرة حجماً وقوة عسكرية كبيرة الدلالة والمعنى والإرادة.

وتكون المجابهة التي نعرفها بين المجموعة الحسينية التي سعت اولاً إلى حقن الدماء عبر السماح لها بالعودة إلى الحجاز من دون قتال لكن عبيد الله بن زياد امر قائده عمر بن سعد بان يمنع (الحسين) من العودة وبان يصحبه إلى دمشق حيث يبايع يزيداً بن معاوية بالخلافة وهو أمر أدرك سعد وقبله عبيد الله ان الامام الحسين (ع) لن ينفذه ابداً كما أدركه مبعوثهما إلى الحسين وهو القائد الحر الرياحي حيث تأكد ان الحسين ما جاء إلى الكوفة ليبايع من يعده خارجاً على الاسلام وعلى ثوابت الدعوة الإسلامية بل ليطلب من الناس البيعة له بعد ان مات معاوية واستشهد شقيقه الامام الحسن بن علي (ع) مسموماً وآن للناس ان تبايع سبط الرسول الآتي من أرض طيبة إلى ارض النهرين ليتم رسالة الحق.. ذلك كان حديث الحسين مع القائد الحر الرياحي الذي أدرك ان المعركة قادمة من دون ريب وان جيش عمر بن سعد سيطبق على مجموعة الحسين وان عليه ان يختار بين حقيقتين حقيقة الحرية والاسلام والحق وما يمثله الحسين من قيم وحقيقة الضعف والخروج على المبادئ والعمل من اجل الدنيا ويزيد فاختار طريق الحرية الذي يقود إلى الشهادة، وهنا يبدأ القسم الثالث من تلك الرسالة التي صنع منها القاص العراقي (أبو مخنف) دراماه الشعبية التي يرددها الرواة في العاشر من محرم الحرام حيث جرى القتال بين جيش الحسين وجيش يزيد ويبدأ الابطال الحسينيون بالمواجهة بعد ان قطع جيش يزيد، الماء عنهم وحرم الصغار قبل الكبار الماء ليميتهم عطشا وصبراً قبل ان يميتهم قتلاً بالسيوف وبالسهم، ولن نتعرض إلى تفاصيل استشهاد الابطال ولا إلى سعي العباس (ع) وهو يحمل قربة الماء التي انتزعها انتزاعاً لإيصالها إلى معسكر الحسين وهو يقاتل الكثرة الكاثرة الباغية ويقتل منها الكثير قبل ان يستشهد امام اخيه الحسين ولن نتعرض إلى حوارات الحسين مع الذين يسلمهم السلاح ليقاتلوا وهو مدرك ان مصيرهم الموت ثم الجنة ولا إلى قتال الحر واستشهاده بل نتوقف عند اقبال الحسين نفسه وقد غدا وحيداً على الموت بعد قتال ضار كان يهرب أمامه مقاتلوه هيبة وخوفاً حتى تناولوه من بعيد بالنبال واثخنوه جراحا وهو ينادي ويطلب الاستشهاد من اجل حياة الإنسان وكرامته حتى سقط تلك السقطة البطولية واحتز الشمر رأسه منادياً وسط بكاء النساء والأطفال وحرقتهم وارتعاب سعد بن عمر وخشية عبيد الله بن زياد ولكنه رعب داخلي وخشية أضمراها ليبديا اشد قسوة على السبايا الباقيات من أي معتد متسلط.

ويكون القسم الرابع من هذه المأساة منقسماً إلى عدة فصول، الفصل الأول يتمثل بقيادة السبايا إلى دمشق ومعهم رأس الحسين محمولاً على عمود ومعه رؤوس بضعة شهداء والفصل الثاني يتمثل في وقوف زينب امام يزيد ورأس الحسين أمامه وهو يتظاهر بالبكاء والفصل الثالث تصنعه المخيلة الشعبية بقيام احد الرهبان برسم صورة الحسين والفصل الرابع يتمثل في صراع المصريين والعراقيين بخصوص دفن الرأس ومكانه الحقيقي والفصل الخامس هو فصل مرد الرأس حيث هو اليوم الاربعون إذ يخرج بنو اسد ليحملوا الرأس الشريف ويدفنوه جوار الجسد الطاهر في كربلاء وبذلك تتم المأساة فصولها وتنطلق من وقائعها آلاف الروايات الشعبية التي تنشد للحق الذي ضاع بعد ان قاتل وجاهر للوصول إلى الغاية، وهي غاية ظلت غير محققة بوجود الحاكم الأرضي الذي استعان بالمال والسلاح طريقاً للحكم واستخدام مبادئ الدين على مدى التاريخ من اجل خدمة وسائله الحياتية في العيش من دون إدراك لما يقدمه الدين من رسائل عدل وكرامة وحقوق للانسان المحكوم إذ ظلت قضية الامام الحسين (ع) تشكل دوماً سعياً من قبل الإنسان المحكوم بقسوة وبلا عدالة لأن يعمل ويسعى من اجل الحق المغتصب وبان يحتفل باستذكار تلك المأساة البطولية كل عام.

دور الجماهير الشعبي في تجسيد المأساة

من المحرر

اتخذت مأساة الامام الحسين (ع) البطولية في الأدب الشعبي والأدب العام صوراً شتى، فعلى صعيد الأدب العام ازدهرت كتابات شعرية ومسرحية وابداعية أخرى متعددة لمختلف الأقلام والأجيال لا سبيل إلى استعراضها هنا وعلى صعيد الأدب الشعبي سجلت اخبار معركة الطف في روايتين الاولى طبعت منذ سنوات في بيروت تحت عنوان (مقتل الامام الحسين) لأبي مخنف وهي الرواية التي يرددها قراء المنابر الحسينية كل عام بتفاصيلها المثقلة بالألم وبالصراع الدرامي والثانية هي رواية علي بن طاووس وهي أقل شهرة من الاولى.

ان مما يزيد الطقس الشعبي في تجسيد مأساة الامام الحسين هو مشاركة الكثير من المحتفلين في معظم المدن العراقية في تجسيد تفاصيل المأساة تشخيصاً فمنهم من يأخذ ادوار الشخصيات الحسينية ومنهم من يأخذ ادوار الشخوص من جيش يزيد وعمر بن سعد حيث تمثل المأساة في الشوارع امام الناس ويزداد تعلق الناس بحواراتها الشجية وتفاصيل الصراع الذي يظل ضارباً تأثيره في أعماق النفس البشرية لعمق تضحية الامام الحسين وصحبه ودموية وسوء المعسكر الثاني، معسكر الحكم الطاغي المتجبر.

ولا تقف صور تجسيد هذه المأساة على التشخيص في الشوارع والمحال بل تتخذ المواكب السائرة وقراءات (الرواديد) للشعر الحسيني في المساجد والحسينيات والبيوت و(قرابات) النساء في البيوت طوال الأيام الاربعين نموذجاً خاصاً آخر يشكل نوعاً من الأدب الشعبي غامر المعاني كثير الشجي.

ولا يقتصر الأمر على ذلك فقط بل يتعداه إلى احتفالية اليوم الاربعين حيث تجرى مراسيم (مرد الرأس) الشعبية في احتفالات يقيمها بعض المدن من دون سواها ومنها مدينة (الدغارة) حيث يعاد تشخيص جزء من المأساة بدخول (بنو اسد) في تفاصيل العمل الدرامي عن دفن رأس الامام الشهيد. ان المخيلة الشعبية ستظل دوماً بحاجة إلى تجديد هذه الصورة الدرامية واكسائها شحنة من عاطر القول والفعل باعتبارها تجسد صورة الحق وهو يقاوم الظلم ويضحي من اجل اقامة العدل الذي ضاع ولابد من ان يعود.

ستديو ثقافة شعبية

بدوي في وحدتهو صحرائه

مرقد الامام موسى الكاظم (ع) مرسوما في القرن التاسع عشر

رسم شعبي لواقعة من سيرة عنتر بن شداد

النجف الاشرف.. في رحلات الاجانب

صادق مشعل

نشطت رحلات الاوربيين الى العراق ومدنه ودساكره منذ القرن السادس عشر لاسباب متعددة منها الاستخبارية ومنها حب الاستطلاع ومنها السعي للوصول الى منابع الثروة في الشرق وتأكيد المصالح السياسية والاقتصادية وتأتي كتب هؤلاء الرحالة حافلة بالغريب من الافكار ولكن صفحاتها تعد توثيقا لمرحلة ومن الممكن دوما الافادة منها تاريخيا وانثروبولوجيا.

وقد نشر رحلات بيدروثيثر (تاكسيرا) الى العراق الاستاذان سنكليرود وفيركوسن في لندن عام ١٩٠٢ وكتب عنها ساراسايت مقالة بعنوان "رحلة البرتغالي تاكسيرا الى العراق في القرن السابع عشر قام بترجمتها ا لاستاذ فؤاد قزانجي ونشرها في مجلة المورد العدد الرابع ١٩٨٩ ومما جاء في رحلة تاكسيرا عن النجف الاشرف قوله:

"دخلت مدينة الامام علي (ع) نهار السبت ١٨ ايلول ١٦٠٤ وقد كانت هذه المدينة كبيرة اذ ان دورها كانت قبل مايزيد على ٥٠-٧٠ سنة نحو ستة الاف الى سبعة ا لاف دار ويدل معظم خرائب هذه الدور على انها كانت واسعة وجيدة البناء اما اليوم فالدور المسكونة لاتزيد على خمسمئة دار وسكانها معظمهم فقراء.. والمدينة محوطة بسور ولكن فيه الف فتحة وهو مبني كالجامع وا لدور بالاجر والطين والنجف ليست على مجرى وماء ابارها اجاج اما ا لماء العذب فهو من مجرى كان قد احدثه السلطان العثماني سليمان القانوني بفتح صدره من الفرات على بعد ثلاثة فراسخ من المدينة وقد ا نفق عليه مبالغ كبيرة مع عمل مشاق وهو بحاجة الى تطهير سنويا.

وتشاهد في هذه الحاضرة خرائب اسواق معقودة كما هي العادة في المدن القريبة وبناء هذه الاسواق يدل على ماكان لهذه المدينة من مجد عريق وسيد هذه الاراضي امير عربي (الشيخ ناصر المهنا) يؤدى له الخراج وفي العادة ان تكون لهذه المدينة حامية قوامها خمسون جنديا ولكن لم يكونوا فيها حين مكوثي".ويقول الرحالة نيبهر الذي دخل النجف في نهاية عام ١٨٦٢, ان ماء النجف النظيف كان ينقل الى بيوتها على الحمير ويتحدث الرحالة بارلو في سنة ١٨٩٩ عن بحر النجف فيقول:

"النهر المسمى نهر الهندية يجري في الجهة اليمنى من الفرات وهو يحمل نصف ماء النهر حيث يترك مدينته كربلاء على الجهة الغربية واطلال مدينة بابل على الجهة الشرقية ثم يصل الى مدينة النجف فيصب هناك في بحيرة تسمى بحر النجف يبلغ طولها (٦٠) ميلا وعرضها (٣٠) ميلا والمياه بعد ان تتجمع في بحر النجف تتغلب عليها المواد المعدنية وتغدو مياهها مالحة كمياه البحر وقد كان هذا البحر خير طريق للمواصلات بين النجف وسائر جهات العراق". وتتجول الرحالة البريطانية الليدي دارور في النجف مطلع العقد الثاني من القرن العشرين فتصف اسوارها والمدن المجاورة لها كالحيرة ثم تقول "النجف مدينة جميلة جدا لكن شوارعها ليست على شيء من الاستقامة والتنظيم وتعلو الازقة فيها طوق البيوت وازقتها ضيقة متعرجة ولا تنفذ الشمس اليها الا قليلا وقد يصادفك باب من ابواب الحرم الكبيرة.. ان نصف المدينة قائم تحت الارض وهو عميق جدا ذلك انه شبكة من السراديب المتصلة وبينها ممرات وقد يفضي بعضها الى الصحراء خارج المدينة ولكل بيت سردابه ويحتمل ان يكون تحت السرداب سرداب ثان وثالث.

مكتبة

عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب

تأليف: الشيخ احمد بن علي بن الحسين بن عتبة الداودي الحسيني.

طبع هذا الكتاب أول مرة في بومباي بالهند سنة ١٩٠٠م ثم نشرته مكتبة النجف مرة أخرى في الخمسينيات من القرن الماضي وإعادت طبعه مصوراً بالاوفست وزارة الثقافة الأردنية بشكله المخطوط من دون تحقيق، وقد ألفه ابن عتبة الأصفر سنة ١٤٢٥م ٨٢٨هـ وهو مرجع مهم في انساب الطالبيين ما زال بحاجة إلى تحقيق ٣٥٢ص. مطابع الدستور. عمان. ١٩٩٦ .

تطور فكرة العدل في القوانين العراقية القديمة

تأليف: د. جمال مولود ذيبان

دراسة قانونية اجتماعية في القوانين العراقية القديمة وتطبيقاتها مع دراسة لفكرة العدل عند الشعوب القديمة واظهار ريادة العراقيين الأوائل في التركيز عليها وتطبيقها تشريعياً وقانونياً إضافة إلى فصول في دراسة فكرة العدل في الفلسفتين اليونانية والرومانية.

٣٠٤ ص. دار الشؤون الثقافية. بغداد, ٢٠٠١.

الابل ذاكرة الصحراء

تاليف: محمد رجب السامرائي. محمود اسماعيل بدر

درس المؤلفان الابل في المصادر العربية . الابل في الذاكرة الشعبية الموطن الأول والانتشار . حكايات وعادات ومعتقدات . وبذل المؤلفان جهداً طيباً في متابعة ظهور الابل وانتشارها والعناية بها مع دراسة لابرز طرائق العناية بها وتقاليد رعايتها وطبها إضافة إلى مراجعة الدراسات السابقة عنها.

٩٦ ص . نشر نادي تراث الإمارات . أبو ظبي . ٢٠٠١ .